

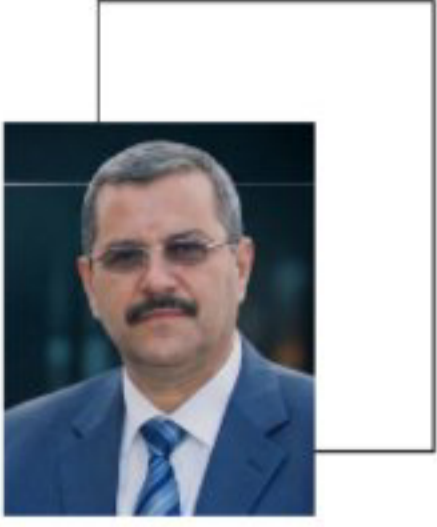
الناقد العراقي مصطفى لطيف عارف

قراءة نقدية

قصة / غربة
للكاتبة عبير الحداد

مجلة نور الثقافية





أ.د. مصطفى لطيف عارف

شعرية السرد

في قصة (غربة) للقاصه عبير الحداد

يعد السرد فرعاً من أصل كبير هو الشعرية القائمة على استنباط القوانين الداخلية للأجناس الأدبية، وحتى وإن عدل عن هذا المصطلح الدكتور علي جواد الطاهر إلى مصطلح القصصية بحجة أن مصطلح السردية إذا رُفِع عنه المقطع (يه) صار لا يعني الفن القصصي إنما صار يعني عنصرًا من عناصره أو جزءًا من أجزائه حين يتدخل الراوي فيعرض الحادثة، أو يعلق عليها، ويتدخل المؤلف المسرحي ليدل المخرج أو المشاهد على ما لم يكن في النص. لقد فتح النقد الأدبي الحديث المجال واسعًا أمام هذا المصطلح فأكسبه دلالات أوسع من القص أو الحكى حتى صار يعني كل عمل طابعه الحكى أو الحكى، سواء أكان مكتوبًا أم منطوقًا أو مرئيًا أو مسموعًا، أي أنه كل عمل تضمن قصة أو رواية بغض النظر عن مظهره التعبيري. وبناءً عليه صار السرد يشتمل على القصة والرواية والمسرحية والحكاية الشعبية والأسطورة والحلم والشريط السينمي والنكتة والحزورة والحديث الإذاعي، وغيرها كثير، وقد أكده الدكتور عبد الكريم السعيدى، وهذا هو المفهوم الذي تتبناه هذه الدراسة - بل إن تودوروف الذي وصل إليه أمر السرد من الشكلايين الروس ثم أبحاث دي سوسير اللغوية، ومن جاء بعده من الألسنيين، لم يعد لديه الموضوع الحكائي ديدن السرد بل أصبح العالم كله لديه قابلاً للسرد؛ فالفلسفة سرد للفكر الإنساني، وعلم الاقتصاد سرد للحاجة، والندرة المتصارعة مع قانون العرض والطلب، ومن ثم أصبحت كل الأفعال في الوجود تمثل سرد الأنا المنطوية في العالم.

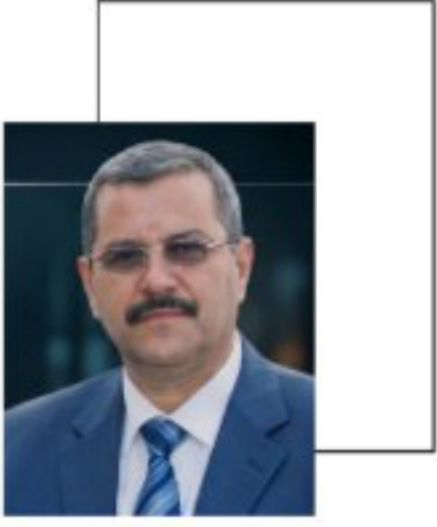


Noor Cultural Magazine



نشاط المجلة

- 1/ نشر كتب إلكترونية جامعة
- 2/ توثيق النصوص مع تخريم الناشرين
- 3/ إقامة مسابقات
- 4/ إصدار بطاقة عضوية
- 5/ إصدار العدد الشهري
- 6/ عمل حوارات صحفية
- 7/ منح بطاقة صحافة للمتفاعدين
- 8/ منح بطاقة نائب معتمد
- 9/ نشر تغطيات صحفية
- 10/ اللجوء للكتب الإلكترونية أو ورقية
- 11/ منح لقب نجم الأدب العربي لمن توفرت لديه الشروط التالية:
شهادة دكتوراه فخرية
أن يكون أصغر له كتاب ورقي أو حتى إلكتروني
- 12/ عرض نبذة تعريفية عن الكتاب.



أ.د مصطفى لطيف عارف

شعرية السرد

في قصة (غربة) للقاصة عبير حداد

ما يميز القاصة (عبير حداد) قدرتها على السرد الذاتي وعن طريق أحداث متسلسلة، وأزمنة كثيرة، في قصتها (غربة)، فنراها تقول: "ذون أن تشعّر بي كنت أطلّعها عن كذب، أرقب نظراتها تلك التي تزيدني حسرةً وألمًا، وهي تحتضنُ ذاك اللعين بين يديها، للأسف لم أعد اليوم أستحوذُ ولو على جزءٍ بسيطٍ من اهتمامها، فمندُ ولادته سلّبتني مكاني في قلبها بينما شغلّ هو جلّ اهتمامها، أكاد أختنقُ من كثرة الغبار الذي يحيط بي، البق في كل مكان ينهش جسدي، فرت من عيني دَمعة بلون الأسي الذي يقبع بين جوانحي، لم ينتبه لها أحد سوى صديقي الهارب الذي يقبع إلى جوارِي، هو عكسي تمامًا ما أجده منبطحًا على ظهره، لأنه لا يرغب بأن يراه أحد، قال لي: هون عليك يا صديقي، لِمَ كلُّ هذه الزفرات؟ لا شيء يستحقُّ الوجد، لا شيء، قلت: أنتَ آخر واحدٍ يتكلّم يا هارب، ردّ علي: لِمَ؟ هل تظنُّ أنني سعيدٌ بهذا مآل؟ طبعًا لا؛ لكنني أحاول دومًا أن أوّقلم نفسي على هذا الوضع لسبب بسيطٍ هو أنني أعلمُ أنّ التفكير يزيد الأمر سوءًا وتعقيدًا، أثقُ أنني لو تعاملتُ مع الأمورِ مثلك سأجنُّ يا صاحبي، أخبرك شيئًا لتعرف مدى ألمي؟ لا أعرف لماذا أريدُ لي أن أظلّ هاربًا طوال عمري من قبل من أنجيني؟ لا أعرف لماذا تخلى عني بكلِّ هذه السهولة؟ بعد أن ظللتُ أرافقه لمدة تزيد عن الثلاثة أعوام".

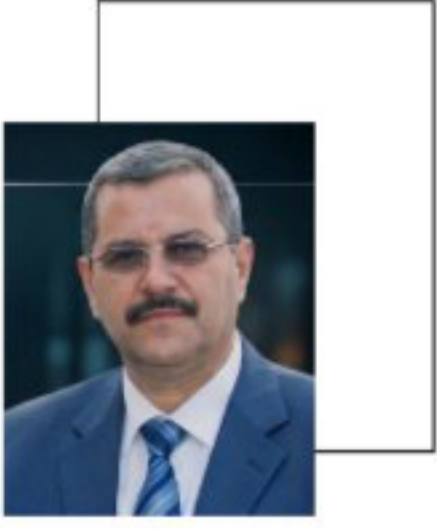


Noor Cultural Magazine



نشاط المجلة

- 1/ نشر كتب إلكترونية جامعة
- 2/ توثيق النصوص مع تخريم الناشرين
- 3/ إقامة مسابقات
- 4/ إصدار بطاقة عضوية
- 5/ إصدار العدد الشهري
- 6/ عمل حوارات صحفية
- 7/ منح بطاقة صحافة للمتعاقدين
- 8/ منح بطاقة نائب معتمد
- 9/ نشر تغطيات صحفية
- 10/ اللجوء للكتب الإلكترونية أو ورقية
- 11/ منح لقب نجم الأدب العربي لمن توفرت لديه الشروط التالية:
شهادة دكتوراه فخرية
أن يكون أصغر له كتاب ورقي أو حتى إلكتروني
- 12/ عرض نبذة تعريفية عن الكتاب.



أ.د مصطفى لطيف عارف

شعرية السرد

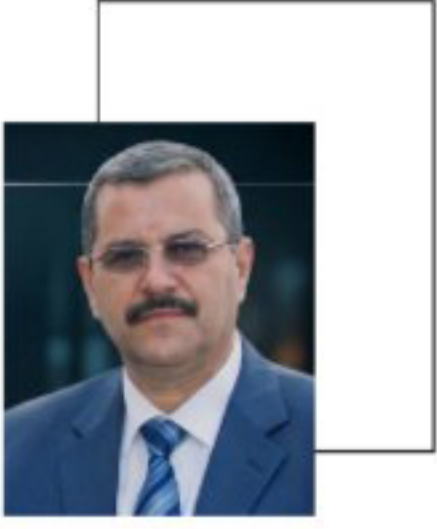
في قصة (غربة) للقاصة عبير الحداد

والقصة جاءت متناسقة مع لغتها السردية المعبرة عن ثقافتها الواسعة، وشاعريتها المتدفقة، وقدرتها على الصياغة اللغوية، فنراها تقول: "بصراحة صدمني قول الهارب، والفكر الذي ينطلق منه، كنت أظنه كسولاً لا يهّمه شيء سوى النوم، فتحت فمي لأتحدث، قاطعني صديق آخر كان يقف في الجانب الآخر منّا قائلاً: على رسلكما يا صاحبي، لم كل هذا التشاؤم، واليأس؟ غباء منكما ألا تدركا قيمتكما، هم الخاسرون لا أنتم، ثم إن من تبتاك اليوم سيتركك غداً، فماذا تفعل؟ أتقضي باقي عمرك تندب حظك؟ عن نفسي لا أهتم لهكذا أمور، بل إنني أفخر دوماً بنفسي، أحسن منجبي حين سماني الفخر، ما فائدة أن يتبتاني أحدهم ليوم، أو يومين، أو بضع ساعات لا أكثر، ثم يتركني وحيداً أصارغ مشاعر الفقد، أنا أفضل ألا يقترب مني أحد، عقبث على كلماته: أنت قاس بلا قلب، قهقهه الفخر ضاحكاً: منذ متى كان لنا قلب يا صديقي؟!"



Noor Cultural Magazine





أ.د. مصطفى لطيف عارف

شعرية السرد

في قصة (غربة) للقاصه عبير الحداد

درج العرف النقدي، ولا سيما التقليدي على التفريق بين القصة والشعر، بوصفهما نوعين مختلفين؛ فالقصة فن نثري يكمن الإبداع فيه في بنيته الحكائية، وطرائق رسم شخصياتها، على حين بُني الشعر على نظام لغوي تتراجع فيه الوظيفة اللغوية إلى الورا، وتكتسب الأبنية اللغوية قيمة مستقلة. وكلما اقترب القصص من شرط الشعر ازدادت دقة كلماته أهمية، وكلما تحرك الشعر صوب السرد قلت أهمية لغته الخاصة. جمعت القاصة المبدعة (عبير الحداد) بين الشعرية والقص السردية في قصتها الجديدة (غربة)، فنراها تقول: "يبدو أنّ جلوسك لوقتٍ طويلٍ أمام تلك الشقراء قد أحدث تغييرًا كبيرًا فيك، عقبث على كلماته: ذونها لا أعرفني، هي دليلي إلي، خارطتي، بوصلتي، وعنواني، فتح الفخر فوهه ليتكلم، صرخت به: صه إنها تتوجه نحونا، يا إلهي ما أسعدني! أخيرًا تذكرتني، كلي شوق للسفر معها عبر مديني؛ فأننا لا أعلم شيئًا عني إلا من خلالها، كم أعشق سبر هذه الفتاة لأغوارها،

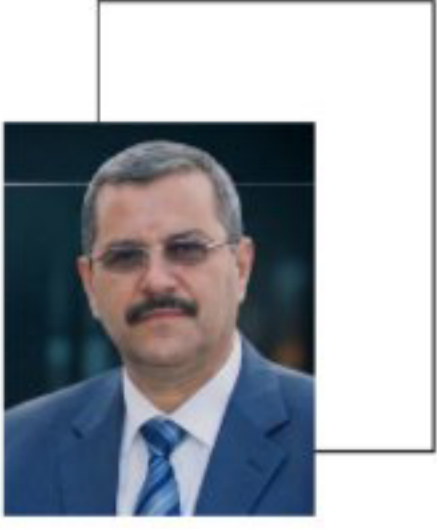


Noor Cultural Magazine



نشاط المجلة

- 1/ نشر كتب إلكترونية جامعة
- 2/ توثيق النصوص مع تحريم الناشرين
- 3/ إقامة مسابقات
- 4/ إصدار بطاقة عضوية
- 5/ إصدار العدد الشهري
- 6/ عمل حوارات صحفية
- 7/ منح بطاقة صحافة للمتفاعدين
- 8/ منح بطاقة نائب معتمد
- 9/ نشر تغطيات صحفية
- 10/ اللجوء للكتب الإلكترونية أو ورقية
- 11/ منح لقب نجم الأدب العربي لمن توفرت لديه الشروط التالية:
شهادة دكتوراه فخرية
أن يكون أصغر له كتاب ورقي أو حتى إلكتروني
- 12/ عرض نبذة تعريفية عن الكتاب.



أ.د. مصطفى لطيف عارف

شعرية السرد

في قصة (غربة) للقاصة عبير الحداد

لم يستطع أحدٌ قبلها أن يفعلَ بي ما فعلت، الكلُّ كان
سطحيًا غير متعمِّق في مشاعري، وفهمَ إيديولوجيتي، ها
هي تقتربُ الآن، تمنيتُ لو أنّ لي قدمين لأهرعَ إليها،
اقتربت مني، ها هي أصبحت تمامًا أمامي، جسدي
ينتفضُ بقوة، كم أخشى ألا يقعَ اختيارها علي، كم فرحت
حين امتدَّت يدها إلي، أنا دونًا عن غيري، يا لسعادتي إنَّها
ما زالت تتذكّرني، لكن بمجرد أن لامست يدها جسدي
أطلقت صرخةً، وأوقعتني، تناثرت أجزاءي في البهو
الواسع، انحنت بعدها لتلتقطني بطرفِ أصابعها كشخص
أجرب، توجَّهت بي إلى سلةِ المهملاتِ ككلِّ تلك الكتبِ
القديمة".

وفي هذا الصدد نود الإشارة هنا إلى نظام المهيمنة الذي
قال به الشكلاونيون الروس، ويعني بروز أحد الأنساق
البنائية، وتحكمه بالعناصر الأخرى بوصفه العنصر البؤرة
في الأثر الأدبي؛ فإذا ما قلنا السرد في القصة

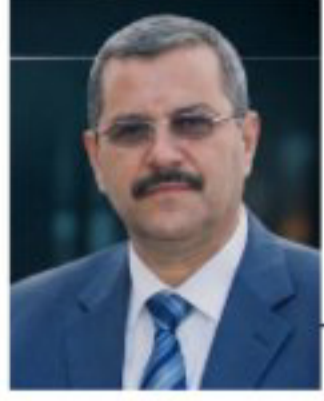


Noor Cultural Magazine



نشاط المجلة

- 1/ نشر كتب إلكترونية جامعة
- 2/ توثيق النصوص مع تحريم الناشرين
- 3/ إقامة مسابقات
- 4/ إصدار بطاقة عضوية
- 5/ إصدار العدد الشهري
- 6/ عمل حوارات صحفية
- 7/ منح بطاقة صحافة للمتعاقدين
- 8/ منح بطاقة نائب معتمد
- 9/ نشر تغطيات صحفية
- 10/ اللجوء للكتب الإلكترونية أو ورقية
- 11/ منح لقب نجم الأدب العربي لمن توفرت لديه الشروط التالية:
شهادة دكتوراه فخرية
أن يكون أصغر له كتاب ورقي أو حتى إلكتروني
- 12/ عرض نبذة تعريفية عن الكتاب.



أ.د. مصطفى لطيف عارف

شعرية السرد

في قصة (غربة) للقاصة عبير الحداد

مجلة نور

الثقافية

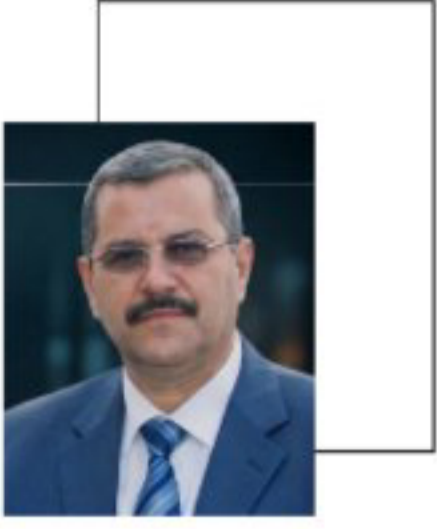
Noor Cultural Magazine



نشاط المجلة

- 1/ نشر كتب إلكترونية جامعة
- 2/ توثيق النصوص مع تخريم الناشرين
- 3/ إقامة مسابقات
- 4/ إصدار بطاقة عضوية
- 5/ إصدار العدد الشهري
- 6/ عمل حوارات صحفية
- 7/ منح بطاقة صحافة للمتعاقدين
- 8/ منح بطاقة نائب معتمد
- 9/ نشر تغطيات صحفية
- 10/ اللجوء للكتب الإلكترونية أو ورقية
- 11/ منح لقب نجم الأدب العربي لمن توفرت لديه الشروط التالية:
شهادة دكتوراه فخرية
أن يكون أصغر له كتاب ورقي أو حتى إلكتروني
- 12/ عرض نبذة تعريفية عن الكتاب.

، واللغة في الشعر، والحوار في المسرح، فهذا لا يعني وجود عناصر أو أنساق بنائية غير ما ذكر في الأجناس الأدبية المشار إليها (القصة - الشعر - المسرح)، إنما هذه العناصر هي مهيمنات فرضت حضورها على عناصر أقل حضورًا منها في الأجناس المشار إليها. واستنادًا إلى هذا الفهم فإن القصة إذا ما قررت الدخول في الشعر، فإنها تدخل بأدوات الشاعر وعناصره بوصفها ضيفًا مؤدبًا على الشعر، ومن ذلك إهمال التفصيلات والميل نحو التكتيف، والإشارة السريعة واللمحة الخاطفة الموحية المتعددة التأويلات، وعدم الاستغراق في وصف أبعاد الشخصيات وتحديداتها وتفصيلاتها؛ لأن الشعر معني بالوقوف عند انفعالات النفس، أي أنه يتحدث عن كوامن الأشياء وانعكاساتها في الذات المنفعلة بها، هذا من جهة القصة. أما من جهة الشعر فهو إذا ما قرر استضافة القصة فعليه التنازل عن بعض مميزاته لكي تتمكن القصة من أخذ مكانها المناسب فيه، ومن تلك المميزات اصطباغ الشعر بطابع التقريرية والمنطقية، ولا سيما في الوصف، الأمر الذي يجعل ألفاظه تشير إلى اتجاه واحد هو المباشرة،



أ.د مصطفى لطيف عارف

شعرية السرد

في قصة (غربة) للقاصه عبير الحداد

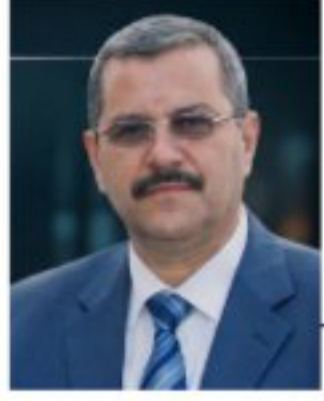
وهذا يفضي إلى انكماش القدرة الإيحائية لبنيته اللغوية عند حدود الدلالة المعجمية، ومن ثم تقل أهمية اللغة الخاصة به لتصبح أقرب إلى الأسلوب النثري، وأنه سيقاوم محاولات القص المتكررة لأخذ النص الشعري إلى الاستغراق بالوصف، ولا سيما تصوير الأشياء من الخارج تصويرًا منطقيًا مع التركيز على تفصيلاتها، بغية إقناع المتلقي بصدق ما يقال.

من هنا جاءت الصعوبة في دمج هذين الفنين المتباعدين في طرائق البناء الفني، إذ لكل منهما اشتراطاته ومطالبه وعناصره، الأمر الذي يتطلب أكثر من قدرة الشاعر وأكثر من مقدرة القاص لدمجهما؛ فالقصيدة بحكم أنها قصيدة لا بد أن تكون شعرًا، وبحكم أنها قصة لا بد أن تنقل إلينا قصة في شعر، وقصة في آن واحد، ونسبة متوازنة بين فنية الشعر وفنية القصة. نلاحظ مما تقدم تداخل الفنون الأدبية بعضها مع بعض، وعلى الرغم من استقرار كل فن من الفنون الأدبية بخصائصه ومميزاته، إلا أن الشعر المعاصر سمح لنفسه بالخلط والدمج بين الفنون. والنص القصصي في الواقع يختلف عن النص الشعري لا في الوزن ولا في اللغة ولا في العلاقة مع الشخصوس والأحداث،



Noor Cultural Magazine





أ.د مصطفى لطيف عارف

شعرية السرد

في قصة (غربة) للقاصة عبير الحداد

ولكن هناك فارق جوهري جذري هو في العلاقة مع الزمن، ذلك لأننا يجب أن نفرق بين مفهومين هما الزمن والديمومة؛ الزمن هو كل متحد كما يقول بيرغسون: ماضٍ وحاضر ومستقبل، أما الديمومة فإنها خط حدتي متواصل بين الولادة والموت كما يقول باشلار، ولهذا فإن النص السردى في قصة (غربة) هو النص الذي يتزاوج مع حركة الديمومة من حدث لآخر هكذا بشكل أفقي متواصل، ومن هنا فإن العمل القصصي الناجح هو الذي يشترك ويعانق حركة الديمومة هذه، ولهذا تجد أن الناس يحبون قراءة الروايات في القطارات وقبل النوم لما في ذلك من علاقة تناغم داخلية وخارجية مع حركة الديمومة؛ هذا هو النثر. وتسرد لنا القاصة المبدعة (عبير الحداد) الأحداث بزمن وزمان قديم/حديث في آن واحد، وأجمل ما فيها الضربة أو خاتمة القصة التي تقول فيها: "ثمّ عادت بسرعة، واحتضنت مجدداً ذلك الهاتف اللعين".



Noor Cultural Magazine



نشاط المجلة

- 1/ نشر كتب إلكترونية جامعة
- 2/ توثيق النصوص مع تخريم الناشرين
- 3/ إقامة مسابقات
- 4/ إصدار بطاقة عضوية
- 5/ إصدار العدد الشهري
- 6/ عمل حوارات صحفية
- 7/ منح بطاقة صحافة للمتعاقدين
- 8/ منح بطاقة نائب معتمد
- 9/ نشر تغطيات صحفية
- 10/ اللجوء للكتاب الإلكتروني أو ورقية
- 11/ منح لقب نجم الأدب العربي لمن توفرت لديه الشروط التالية:
شهادة دكتوراه فخرية
أن يكون أصغر له كتاب ورقي أو حتى إلكتروني
- 12/ عرض نبذة تعريفية عن الكتاب.